المخاطب وينكره بخلاف الثالث اى الوجه الرابع من وجوه الاختلاف
ان اصل النفى والاستثناء ان يكون الحكم الذى استعمل هو له من الاحكام
التى يجهلها المخاطب وينكرها بخلاف انما فان اصله ان الحكم المستعمل
هو فيه مما يعلمه المخاطب ولا ينكره كذا فى الايضاح وقد نقله عن دلائل
الاعجاز حيث قال اعلم ان موضع انما ان تجئ لخبر لا يجهله المخاطب ولا ينكره
او لما ينزل هذه المنزلة وما والا لما ينكره او فى حكمه وفيه اشكال لان المخاطب
اذا كان عالما بالحكم ولم يكن حكمه مشوبا بخطا لم يصح القصر بل لا يفيد الكلام
سوى لازم الحكم فكان مراد الشيخ انه تجئ لخبر من شانه ان لا يجهله ولا ينكره
حتى اذا كان انكاره يزول بادنى تنبيه لانه لا يصر عليه وعلى هذا يكون
موافقا لما فى المفتاح وهو ان طريق انما يسلك مع مخاطب فى مقام لا يصر على خطابه
او يجب عليه الا يصر انه قد يترك كل من الاصلين اخراجا للكلام على خلاف
مقتضى الظاهر فاشار الى اصل الاصلين وتركهما بقوله كقولك لصاحبك
وقد رايت شبحا من بعيد ما هو الا زيد اذا اعتقده غيره اى اذا اعتقد
صاحبك ذلك الشبح غير زيد مصرا على هذا الاعتقاد وقد ينزل المعلوم
منزلة المجهول لاعتبار مناسب فيستعمل له اى لذلك المعلوم الثانى
اى النفى والاستثناء افرادا حال كونه قصر افراد نحو وما محمد الا رسول
اى مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الهلاك فالمخاطبون
وهم الصحابة رضى الله عنهم عالمون بكونه مقصورا على الرسالة غير جامع
بين الرسالة والتبرى من الهلاك لكنهم لما كانوا يعدون هلاكه امرا عظيما
نزل استعظامهم هلاكه منزلة انكارهم اياه اى الهلاك فاستعمل له النفى
والاستثناء والاعتبار المناسب هو الاشعار بعظم هذا الامر فى نفوسهم
وشدة حرصهم على بقاء النبى صلى الله عليه وسلم فيما بينهم حتى كانهم
لا يخطرون هلاكه بالبال او قلبا عطف على قوله افرادا اى ويستعمل له
الثانى حال كونه قصر قلب نحو ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين فان المخاطبين بهذا الكلام وهم

الرسل

الرسل لم يكونوا جاهلين بكونهم بشرا ولا منكرين لذلك ولكنهم نزلوا
منزلة المنكرين لاعتقاد القائلين ان الرسول لا يكون بشرا مع اصرار
المخاطبين على دعوى الرسالة اى لان الكفار القائلين بهذا القول
اعنى ان انتم الا بشر كانوا يعتقدون ان البشرية تنافى الرسالة فى الواقع
وان كان هذا الاعتقاد خطا منهم والرسل المخاطبون كانوا يدعون
احد الوصفين اعنى الرسالة فنزلهم الكفار منزلة المنكرين للوصف
الاخر اعنى البشرية بناء على ما اعتقدوه من التنافى بين الوصفين فقلبوا
هذا الحكم وعكسوه وقالوا ان انتم الا بشر اى انتم مقصورون
على البشرية ليس لكم وصف الرسالة التى تدعونها ولما كان ههنا
مظنة سؤال وهو ان القائلين قد ادعوا التنافى بين البشرية والرسالة
وان المخاطبين مقصورون على البشرية والمخاطبون قد اعترفوا بكونهم
مقصورين على البشرية حيث قالوا ان نحن الا بشر مثلكم فكانهم سلموا انتفاء الرسالة
عنهم اشار الى جوابه بقوله وقولهم اى قول الرسل المخاطبين ان نحن
الا بشر مثلكم من باب مجاراة الخصم اى المماشاة معه وارخاء العنان
اليه والمساهلة معه بتسليم بعض مقدماته ليعثر الخصم من العثار
وهو الزلة لا من العثور وهو الاطلاع حيث يراد تبكيته اى اسكات
الخصم والزامه لا لتسليم انتفاء الرسالة فالرسل عليهم السلام كانهم
قالوا ان ما قلتم من انا بشر مثلكم حق لا ننكره لكن ذلك لا يمنع ان
يكون الله قد من علينا بالرسالة وهذا يصلح جوابا لاثبات الرسل
البشرية لانفسهم واما اثباتها بطريق القصر فليكون على وفق كلام
الخصم كما هو دأب المناظرين ويمكن تقرير السؤال بوجه اخر وهو
انه استعمل فى قوله ان نحن الا بشر النفى والاستثناء مع ان المخاطبين
لا ينكرون ذلك بل يدعونه والاول اوفق لجواب المص فليفهم
ومما اشتمل على تنزيل المعلوم منزلة المجهول قصر الصفة قوله تعالى
حكاية عن اهل انطاكية حين كذبوا رسل عيسى عليه السلام ما انتم

Copyright © King Saud University